السورة السادسة عشرة

العادِيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾

هذه هي السورة الخامسة عشرة بالترتيب التراجعي الذي اتّخذناه منهجاً في دراسة قصار السوَر. وقد نزلت هذه السورة بعد أن شقّ على الرسول ﷺ انقطاع خبر السَريّة التي أرسلها إلى العدوّ لشهرٍ أو أكثر، فأخبره الله خبرهم وما كان من أمر خيولهم. وهي تتكوّن من ٤٠ لفظاً سنتوقّف فيها عند ٥٦ موقعاً قرآنيّاً جديداً.

وللسورة نكهتها الخصوصيّة الحادّة والمميّزة، إذ تتكوّن ألفاظها الأربعون من خمس عشرة أداةً، وخمسةٍ وعشرين اسماً أو فعلاً. وبين هذه الأسماء والأفعال الخمسة والعشرين نجد أحد عشر لفظاً اختُصّت بها سُورة (العاديات) فلا تتكررّ في غيرها من السوَر، منها أربعة ألفاظٍ عرفها الشعر الجاهليّ من قبل، وهي (ضَبْحاً – قَدْحاً – أَثَرْنَ – نَقْعا) وسبعة ألفاظٍ استخدمها القرآن الكريم، بمعناها الجديد، لأوّل مرّة، وهي: (العاديات، المُوْرِيات، المُغيرات، وسَطْن، جَمعاً، كَنود، حُصِّل). وفي السورة أحد عشر تعبيراً، وهو ما يشكّل معظم تعبيرات السورة، انفردت بها دون باقي السوَر، وهي: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

أوّلاً: الألفاظ والمصطلحات

١- العاديات:

هذا اسمٌ جديدٌ للخيل أُخذ من (العَدْو) وهو تَباعُد الأرجل في سرعة المشي، وقد عرف العرب ذلك المصدر، ولكنّهم لم يعرفوا هذا المصطلح القرآنيّ الجديد للخيل. ويقتصر اللفظ على هذه السورة فلا يتكرّر في القرآن أبداً. ولا وجود للّفظ في الحديث الشريف.

٢- المُوْرِيات:

وهو مصطلحٌ آخر جديدٌ للخيل لم يعرفه العرب قبل القرآن، وهو من (أورى) أي قَدح واستخرج، لأنّ حوافر الخيل تقدح النار وهي تطأ الصخر والحصى. وتختصّ السورة بهذا اللفظ فلا يتكرّر في أيّة سورةٍ أخرى، ويخلو منه تماماً الحديث الشريف.

٣- المُغِيرات:

مصطلحٌ جديدٌ آخر للخيل، اشتُقّ من إغارتها على العدوّ ليلاً أو نهاراً. وهو، مرّةً أخرى، لفظٌ خاصٌّ بسورة (العاديات)، فلا يتكرّر في غيرها من السوَر، ولا وجود له في الحديث الشريف.

٤- وَسَطْنَ:

رغم ورود الاسم من هذا الفعل عشرات المرّات في الشعر الجاهليّ، وفي معانٍ مختلفة، فإنّنا لا نجد الفعل نفسه إلاّ مرّةً واحدةً في بيتٍ لعَبيد بن الأبرص (ت٢٥ ق.هـ) يقول فيه:

وعن أيَامِنِها الأطواءُ مُصعِدَةٌ قد شارَفوا فَرَحَ الأوتادِ أو وَسَطوا

وفضلاً عن أنّ الشاعر قد استعمل الفعل هنا بغير المعنى القرآنيّ، فإنّ عدم ورود الفعل في الحديث الشريف مطلقاً يمنحنا المزيد من الثقة بخصوصيّته القرآنيّة، ولا سيّما أنّه لا يتكرّر في القرآن خارج هذه السورة.

٥- جَمْعاً:

تأتي خصوصيّة هذا اللفظ من المعنى الاصطلاحيّ الذي منحه له القرآن الكريم وأشار إليه عددٌ من المفسّرين، وهو (مزدلفة) الموقع المعروف في مِنىً قرب مكّة، وسُمّي كذلك لاجتماع الناس فيه. ويقتصر استعمال اللفظ بهذا المعنى على سورة (العاديات) رغم أنّه يتكرّر في القرآن، وبهذه الصيغة نفسها، في سورتين أخريين، ولكن بمعنىً مختلف.

لقد جاء مرّةً بمعنى الحشر، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴾ [الكهف: ٩٩]

وجاء في سورةٍ أخرى بمعنى المال والثروة، وهو في قوله تعالى:

- ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ ﴾ [القَصص: ٧٨]

وبدهيٌّ أن نجده بعد ذلك في الأحاديث الشريفة التي تتحدّث عن الحجّ وتصف معالمه وأماكنه وطقوسه.

٦- كَنود:

لا يرد هذا اللفظ مطلقاً في الشعر الجاهليّ، كما يخلو منه الحديث الشريف، إلاّ حديثاً واحداً يشرح فيه الرسول ﷺ معنى اللفظ القرآنيّ فيقول:

- الكَنود، هو الذي يأكلُ وحدَه، ويمنعُ رِفدَه، ويَضرِبُ عبدَه[1].

واللفظ خاصٌّ بهذه السورة أيضاً، فلا يتكرّر في باقي السوَر.

٧- شهيد:

لا نجد هذا اللفظ مطلقاً فيما بين أيدينا من الشعر الجاهليّ، ومع ذلك يقفز استخدامه فجأةً ليتكرّر في القرآن الكريم، مفرداً أو جمعاً، ٥٦ مرّة.

---

(١) الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج٨، ص٢٤٥، حديث رقم ٧٩٥٨.

٨- بُعْثِرَ:

لا نعثر على هذا اللفظ في الشعر الجاهليّ، ولا في الحديث النبويّ الشريف. ويتكرّر في القرآن مرّةً أخرى في سورة (الانفطار).

٩- حُصِّلَ:

ربّما استعمل العرب مصدر هذا الفعل، ولكنّ الفعل نفسه لا يَرد في الشعر الجاهليّ، في صيغته القرآنيّة خاصّةً، ولا بمعناه القرآنيّ، ولا وجود له في الحديث الشريف. ومرّةً أخرى لا يتكرّر الفعل ولا مشتقّاته في أي مكانٍ آخر من القرآن.

١٠- يومَئذٍ:

سبق أن تحدّثنا عن جدّة هذا اللفظ عند حديثنا عن لفظٍ مماثلٍ في سورة (التكاثر).

١١- خبيرٌ:

رغم أنّ هذا اللفظ يتكرّر في القرآن الكريم ٤٥ مرّةً، فإنّنا لا نعثر عليه مطلقاً في الشعر الجاهليّ، كما لا نعثر عليه في الحديث الشريف إلاّ في الأحاديث التي تحصي الأسماء الحسنى أو التي تتضمّن وصف الله تعالى، كما في الحديثين:

- .. قالت: لا، قال: لَتُخْبِرِنّي أو لَيُخبِرَنّي اللطيفُ الخبير[١].
- .. وإنّ اللطيفَ الخبيرَ أخبرَني أنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدا عليّ الحوضَ[٢].

والغريب أنّه حين يرِد في الحديث الشريف، في غير إطار وصف الله تعالى، فإنّما يأتي على ألسنة الصحابة وليس على لسان الرسول ﷺ، كقول عائشة رضي الله عنها: "..على الخبيرِ سقطْتَ". [٣]

(١) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٦٩، حديث رقم ١٠٣.

(٢) الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، مرجع سابق، ج١٧، ص٢١١، حديث رقم ١١١٣١.

(٣) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧١، حديث رقم ٣٤٩.

obeikan.com

ثانياً: الصيغ اللغويّة والعلاقات الداخليّة

١- ٢- ٣- والعادياتِ ضَبحاً/ فالمُوْرياتِ قَدحاً/ فالمُغِيرات صبحاً:

بغضّ النظر عن جدّة ألفاظ هذه التعبيرات القرآنيّة الثلاثة، فإنّ اجتماع ألفاظها في تركيبٍ واحدٍ، وفي مثل هذه الصياغة النحويّة للقَسَم المجموع، والمتلوّ بالحال (ضَبْحاً، قَدْحاً)، أو ظرف الزمان (صُبحاً)، لم يعرفه تراثنا العربيّ لا قبل القرآن ولا بعده.

هل سمعنا حتّى الآن من يقول:

واللهِ غافراً لن أعود إلى ذلك؟ أو:

واللهِ أبداً سأتولّى أمرَ المسكين؟

٤- فالمُورِياتِ:

هذا عطفٌ جديدٌ على القسَم لم تعرفه العربيّة خارج القرآن الكريم. فإن أقسمْنا بشيءٍ وأتْبعناه بقسَمٍ آخر عطفنا اللاحق على السابق بالأداتين: (الواو) أو (ثمّ)، فنقول مثلاً:

أقسم بالله وبحرمة كتابه، أو:

أقسم بالله ثمّ بحرمة كتابه

ولا نقول:

أقسم بالله فحرمةِ كتابه

ورغم تكرّره في القرآن عدّة مرّات، كما في سوَر الذاريات والمرسَلات والنازعات، لم يحدث أن استخدم عربيٌّ حرف الفاء لمثل هذا النوع من العطف، فهو حرف عطفٍ يمكن أن يراد به الترتيب، كقولنا: أحرز المتسابقون المراكز الأولى: هشامٌ فخالدٌ فأحمد، وليس في الآيات هنا ما يشير إلى الترتيب في درجات المُقسَم بها. علماً بأنّ القرآن الكريم كثيراً ما يستخدم، في سياقاتٍ أخرى مشابهة،

obeikan.com

أداة العطف (الواو) وليس (الفاء)، ومنه قوله تعالى:

- ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ [الشمس: ١ - ٧]

- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ [الليل: ١ - ٣]

٥- فأثَرْنَ:

من الغريب أن يستمرّ هذا العطف الغريب بالفاء لأربع آيات على التوالي، ولكنّ الأغرب أن تَعطف الفاءُ هذه المرّة، في الآيتين الرابعة والخامسة، فعلاً ماضياً على اسم فاعلٍ أو صفةٍ مشبَّهةٍ (العاديات، والمُورِيات، والمُغِيرات)، لأنّ اسم الفاعل أو الصفة المشبَّهة يدلاّن عادةً على حاضرٍ أو مستقبلٍ وليس على ماضٍ. وهذا التداخل بين الأزمان يدخل في باب الالتفات، وقد تنبّه محيي الدين الدرويش إلى أهمّية هذا التنوّع الزمنيّ في السورة حين قال معلّقاً:

عطفُ الاسم على الفعل فيه سرٌّ بديع، فإنّ التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير والتجسيد بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي.(١)

٦- ٧- بهِ [مكرّر]:

الشيء غير العاديّ هنا هو عودة الضمير (الهاء) في الجارّ والمجرور (به)، في المرّتين، على غير مذكورٍ، وهذا ما حيّر اللغويّين والمفسّرين، فاقترح بعضهم إعادة الضمير على المكان الذي يثار فيه الغبار أو تتوسّطه الأحصنة، وهو محذوف، وأعاده بعضهم على الزمان الذي يقع فيه ذلك، وهو أيضاً محذوفٌ، وبالغ بعضهم فأعاده على اللفظ (صبحاً) وهذا أكثر غرابةً من إعادته على محذوفٍ، لما في ذلك من مفارقاتٍ نحويّةٍ غير معهودةٍ في لغتنا، فهو كقولك:

الزائر ليلاً فعكَّرَه

(١) الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، مرجع سابق، ج٨، ص٣٩٠.

وأنت تقصد تعكير الليل بالزيارة طبعاً.

٨- فوسَطْنَ جَمْعاً:

نحن هنا مرّةً أخرى مع تعبيرٍ غريبٍ لم تعرفه لغتنا العربية قبل القرآن أو بعده. قد نقول:

توسّطتْ جمعَهم، أو جموعَهم،

هكذا باستعمال الفعل (تَوسَّط) بدلاً من (وَسَطَ) مع إضافة (جمع) أو (جموع) إلى ضميرٍ ما، أيّ ضمير، على عكس ما في هذه الصيغة القرآنيّة المتفرّدة. وقارن بين استعمال الفعل هنا واستعماله في بيت عَبيد بن الأبرص الآنف الذكر.

٩ - حُبّ الخير:

يقتصر هذا التركيب على القرآن الكريم، فيَرد فيه مرّتين، ولا نجده في الشعر الجاهليّ ولا في الحديث الشريف. وتزداد خصوصيّته القرآنيّة إذا عرفنا أنّ معنى (الخير) هنا ليس المعنى التقليديّ الشائع الذي نعرفه، وإنّما هو (المال) أو (الدنيا)، وأنّ معنى اللفظ (حبّ) ليس هو بالضرورة المعنى المعروف له، بل هو أقرب إلى معنى (التملّك) أو (الاحتياز) بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى التي ورد فيها هذا التركيب على لسان النبيّ سليمان عليه السلام:

- ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ص: ٣٢]

فكأنّ سليمان عليه السلام أراد أن يقول: إنّ حبّي لتملّك الخيول ألهاني عن صلاة العصر حتّى غابت الشمس.

١٠- أفلا يَعْلم:

لا يتكرّر هذا التركيب في غير هذا الموضع من القرآن، ولا يعرفه الشعر

الجاهليّ ولا الحديث الشريف، فهو إذن، تركيبٌ قرآنيٌّ خاصٌّ بهذا الموضع وبهذه السورة[1].

ومن المفيد أن نوضّح هنا موقف النحو من الجزء الأوّل من هذا التركيب. إنّ اجتماع الأدوات الثلاث (همزة الاستفهام وفاء العطف ولا النافية) في لفظٍ واحد (أفَلا) أمرٌ حيّر النحويّين. فكيف لهم أن يعربوا الفاء حرف عطفٍ –ولا خيار أمامهم غيره– إذا كانت محصورةً بين حرفين آخرين: همزة الاستفهام و (لا) النافية، فليس هناك قبلها ما تعطف عليه ما بعدها؟ ولذلك قدّروا أن الهمزة استفهامٌ إنكاريٌّ وأنّ الفاء "للعطف على مقدّرٍ يقتضيه المقام" أي إنّ التقدير:

أ(يفعل ما يَفعل من القبائح) فلا يعلم، أي:

أيفعلُ كلّ ذلك ثمّ لا يعلم!

وهذا يعني أنّهم تكلّفوا تقدير جملةٍ كاملةٍ قبلها، مؤلّفةٍ من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ به، حتّى يتمكنوا من ترويضها لقواعدهم والخروج من هذا المأزِق النحويّ.

١١– يَعلَمُ:

هذا من الأفعال التي تتعدّى في لغتنا إلى مفعولين، أو إلى مفعولٍ واحدٍ على الأقلّ، ولا يظهر هنا أيٌّ منهما. وهذا النوع من الحذف من خصائص اللغة القرآنيّة، ولكنّنا نرى أنّ الفعل قد اكتسب هنا معنىً جديداً أقرب إلى (الاعتبار) أو (التذكّر) منه إلى العلم أو المعرفة، فلا حاجة إذن لتقدير المفعول الغائب انسجاماً

(١) أمّا اللفظ (أفَلا) فمن اللافت للنظر حقّاً وروده ٣ مرّات في الشعر الجاهليّ بالمقارنة مع ٣٨ مرّةً في القرآن، على حين يختفي تماماً من الشعر الإسلاميّ حتّى نهاية الفترة الأمويّة؛ أي لما يعادل قرناً ونصف القرن منذ بداية نزول الوحي عام ١٢ قبل الهجرة! إنّ هذا يدعونا إلى وضع أكثر من إشارة استفهام حول صحّة جاهليّة الأبيات الثلاثة التي ورد فيها اللفظ، مع ترجيح أسبقيّة القرآن إلى استعماله أيضاً.

مع تقاليدنا النحويّة، وإن ذهب النحويّون، لتلبية هذا الانسجام، إلى أنّ الجملة بعده قامت مقام المفعول، فيكون التقدير عندهم: أفلا يعلم الإنسانُ مقامَه ومصيره عند البعث والحساب؟ أو: أفلا يعلم أنّ الله خبيرٌ به وبعمله يوم القيامة؟ ولكنّ من يقول بهذا يتجاهل حقيقة ابتداء الآية الأخيرة بأداة التوكيد (إنّ) إذ يمنع وجود هذه الأداة تقدير الآية التي بعدها مفعولاً للفعل (يعلم) قبلها.

١٢- إذا:

موقع هذه الأداة حيّر النحويين أيضاً. إنّها ظرفٌ للزمان، وكلّ ظرفٍ يحتاج إلى حدَثٍ يتعلّق به، أو بتعبيرٍ أوضح: إلى حدثٍ يحدث فيه. فوظيفة الظرف هي أن يوضّح لنا الزمان أو المكان اللذين يقع فيهما فعلٌ أو حَدَثٌ، وهذا الحدث يسبق الظرف عادةً في الكلام، وربّما تأخّر عنه.

وقد يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلةٍ أنّ (إذا) هنا متعلّقٌ بأقرب الأفعال إليه والذي يسبقه مباشرةً وهو الفعل (يَعلم)، ولكنّ حدث (العِلم) لن يقع (حين يُبعثَر ما في القبور) لأنّ الله يدعونا إلى أن (نَعلم) الآن، في الدنيا، لنتّعظ بهذا العلم قبل فوات الأوان، وليس بعد موتنا وانبعاثنا من القبور، إذ لن ينفعنا العلم عند ذلك شيئاً، وإذن لا يمكن تعليق (إذا) بهذا الفعل.

فإذا خطر لنا أن نعلّقه بأقرب فعلٍ بعده، وهو (بُعثِر)، أو الفعل الذي عُطِف عليه هذا الفعل (حُصِّل)، وجدنا أنّ ذلك مستحيلٌ أيضاً، لأنّ الفعل بعد الظرف هو دائماً مضافٌ إلى هذا الظرف، فهو إذن بمعنى: حين بعثرةِ محتويات القبور، أو: حين تحصيلِ مكنونات الصدور، فالمضاف إليه لا يعمل في المضاف قبله لأنّه ببساطة جزءٌ من هذا المضاف فهما بمثابة كلمةٍ واحدة، وكيف للكلمة أن تعمل في نفسها!؟

ولا يبقى أمامنا، فيما تبقّى من السورة، أيُّ لفظٍ يدلّ على حدثٍ نعلّق به هذا الظرف إلاّ اللفظ (خبير) وهو أمرٌ مستحيل، لأنّ ما بعد (إنّ) لا يعمل فيما قبلها،

حسب قواعد النحويّين أنفسهم، فضلاً عن أن وجود الجارّ والمجرور (بهم) ثمّ الظرف بعده (يومَئذٍ) قد أغنانا عن مثل هذا التأويل لأنّهما معاً يتعلّقان باللفظ (خبير). فكيف السبيل إلى حلّ هذا الإشكال؟

ليس أمامنا إلاّ منفذان للخروج من مثل هذا المأزق:

أ- أن نذهب مع (إذا) مذهبنا مع (كان) و (ما زال) وغيرها من الاستعمالات القرآنيّة التي تختلف عن استعمالاتنا العربيّة التقليديّة لبعض الأدوات، فنعدّها هنا بمثابة حرفٍ مصدريٍّ يؤوَّل مع ما بعده بمصدرٍ يمكن إعرابه مفعولاً به للفعل (يعلم) ويكون التقدير:

أفلا يعلم (أو يتصوّر) بعثرةَ ما في القبور، أو:

أفلا يتخيّل أو يستحضر يومَ بعثرةِ القبور

وبهذا التعليل نكون قد أوجدنا حلاًّ للإشكال الآخر الذي سبق أن واجهنا قبل قليل، فعثرنا في النهاية على مفعولٍ للفعل (يعلم).

ب- أن نفترض معنىً آخر للفعل (يعلم) غير المعنى التقليديّ، وهو أمرٌ من خصائص اللغة القرآنيّة كما عرفنا، كأن يكون بمعنى (يخشى) أو (يخاف) أو (يعتبر) وحينئذٍ يمكن تعليق (إذا) به، لأنّ الخشية أو الخوف أو الاعتبار، خلافاً للعلم، يمكن أن تقع في هذه الحياة وفي يوم القيامة على السواء.

١٣- بُعثِر ما في القبور:

هذه صورةٌ جديدةٌ على القاموس البلاغيّ عند العرب. فبعثرة بقايا الأجساد المتآكلة في القبور، فضلاً عن أنّها بحدّ ذاتها عمليّةٌ غريبةٌ تُحدث في الذهن صدمةً من نوعٍ غير معهود، هي أيضاً كنايةٌ عن يوم القيامة، أو بالأحرى عن الخطوات

الافتتاحيّة لهذا اليوم الرهيب، وهي أيضاً خطواتٌ كانت ما تزال بعيدةً عن تصوّر العربيّ الأوّل ومفهوماته للحياة ما بعد الموت.

١٤- حُصِّل ما في الصدور:

وهي صورةٌ أخرى جديدةٌ على العرب، تصف المرحلة التالية لبعثرة القبور، حين يوقَف الناس أمام حصائد أعمالهم في الدنيا، ما ظهر منها وما خفي، ليحاسَبوا عليها، ولتبدأ عمليّة "تحصيل ما في الصدور" أو بتعبيرنا الدنيويّ المباشر: كشف الحسابات السرّيّة، وهي أيضاً عمليّةٌ كانت، وربّما ما زالت، بعيدةً عن التصوّر البشريّ.

١٥- إنّ ربَّهم بهمْ يومَئذٍ لَخبير:

لو كانت هذه الآية جملةً بشريّةً لتوقّعنا أن تبدأ بحرفٍ يربطها بما قبلها، كأن يقال (فإنّ ربَّهم) أو (وإنّ ربَّهم). فإذا افترضنا أنّها حلّت محلّ مفعول الفعل (يعلم)، وهو الجسم المفقود الذي ما نزال نبحث عنه في السورة، توقّعنا أن تبدأ بالباء أو يكون بعدها (أنّ) -بفتح الهمزة- وليس (إنّ)، فتكون: (أنّ ربّهم)، أو هكذا:

ألا يعلمون بأن ربّهم خبيرٌ بهم

ولكنّها العلاقات اللغويّة الخاصّة بين الجمل التي تُميّز دائماً أسلوب القرآن الكريم.

١٦- ربَّهم/ بِهم:

مرةً أخرى نجد أنفسنا، في كلٍّ من اللفظين، مع ضميرٍ لا عائد له. نعم، من المفهوم أن الحديث هنا عن (الناس) الذين يُبعثون ويُحاسَبون يوم القيامة، ولكنّ هؤلاء (الناس) لم يُذكروا أبداً في السورة، وإنّما ذُكر لفظ (الإنسان) وهو مفرد:

نقول: هذا إنسان

ولا نقول: هؤلاء إنسان

ولقد أعيد على (الإنسان) في السورة حقّاً أكثر من ضميرٍ مفرد (وإنّه – وإنّه – يَعلم) ولكنّ الضمير ينقلب فجأةً من المفرد إلى الجمع هذه المرّة (هم) فلا يمكن إعادته على لفظ (الإنسان) المفرد بل على جمعٍ محذوفٍ يُفهم من هذا اللفظ الظاهر، وهذا نوعٌ من أنواع الالتفات النحويّ في القرآن، كما سبق أن أوضحنا في الجزء الأوّل.

ثالثاً: السبائك القرآنيّة

من الواضح أنّ التباساً يمكن أن يقع لنا هنا ونحن نحاول التمييز بين التركيب أو التعبير والسبيكة. فمعظم آيات السورة مركّبٌ من لفظين أو ثلاثة ألفاظ، وهذا أدعى لأن يكون الحديث عن الآيات في باب التراكيب أو التعابير لا السبائك، وقد سبق أن بيّنّا أنّ السبيكة أوسع من التركيب، ومع ذلك فإنّ اجتماع بعض هذه التراكيب أو التعابير أو الصيغ، وتواليها جنباً إلى جنبٍ، يجعل منها، وهي مجتمعة، سبائك لغويّةً خاصّةً بالقرآن الكريم، كما سوف يتبيّن لنا:

١- والعادياتِ ضَبْحاً. فالمُوْرياتِ قَدْحاً. فالمُغيراتِ صُبحاً:

إنّ اجتماع هذه الصيغ الجديدة الثلاث يحوّلها إلى سبيكةٍ قرآنيّةٍ طويلةٍ نستطيع تمييزها بسهولةٍ عن سبائكنا البشريّة، ولا سيّما أنّها، وهي هكذا مركّبة، تتكرّر في القرآن الكريم أكثر من مرّة، كما في قوله تعالى:

- ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ ﴾ [الذاريات: ١ – ٣]
- ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ ﴾ [النازعات: ٣ – ٥]

ومن الواضح أن سبيكتنا في (العاديات) تكاد تتطابق صياغةً مع سبيكتَي (الذاريات) و (النازعات).

٢- فأثَرْنَ به نقْعاً. فوسَطْنَ به جَمْعاً:

وهذه سبيكةٌ أخرى قامت على اجتماع صيغتين قرآنيّتين متميّزتين، وإن كنّا، خلافاً للسبيكة السابقة، لا نجد اجتماع مثل هاتين الصيغتين في أيّ مكانٍ آخر من القرآن الكريم.

٣- ٤- ٥- إنّ الإنسانَ لربّه لَكَنود/ وإنّه على ذلك لَشهيد/ وإنّه لحُبّ الخيرَ لَشديد:

هذه ثلاث سبائك قرآنيّةٍ متشابهةٍ في تركيبها، فهي تقوم على الأداة (إنّ) أوّلا، ثمّ يليها اسمها، ويلي اسمَها شبهُ جملةٍ (جارٌّ ومجرور) متعلّقٌ بصفةٍ مشبّهةٍ هي الخبر، وهذا يأتي متأخّراً ومرتبطاً دائماً باللام المؤكِّدة، ويسمّي النحاة لام التوكيد هذه، عندما تتزحلق هكذا من المبتدأ أو الاسم لترتبط بعده بالخبر، اللامَ المزحلَقة.

وتتكرّر هذه السبيكة كثيراً في القرآن، ولكن من المهمّ أن نلاحظ اختلافها عن سبائك أخرى قريبةٍ منها ولكن ليست مثلها، كقوله تعالى:

- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجّ: ٦٥]

فهذه الآية تكاد تطابق سبيكتنا لولا أنّها انتهت بخبرين لا خبرٍ واحد (رؤوفٌ رحيم). وكذلك قوله تعالى:

- ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣]

فالخبر في هذه الآية لم يُذكر صراحةً، كما في سبيكتنا، ثمّ إنّه إذا تمّ تقديره هنا فلا بدّ من تقديره قبل شبه الجملة وليس بعده، أي (لَموجودون في نعيم) وليس (في نعيمٍ لموجودون).

٦ – أفلا يَعلمُ إذا بُعثر:

هذه السبيكة هي إحدى السبائك التي لا تتكرّر في القرآن، ولا في غيره طبعاً، بما تتميّز به من اجتماع الأداة القرآنيّة (أفلا) مع الفعل المتميّز (يعلم) الذي اختفى مفعوله أو مفعولاه، وكذلك مع (إذا) الشرطيّة، أو الظرفيّة، المتميّزة أيضاً، والتي اختفى جوابها أو متعلَّقُها كما سبق أن رأينا.

٧ – ٨ – بُعثِرَ ما في القبور/ حُصِّلَ ما في الصدور:

خصوصيّة هذه السبيكة التي تكرّرت في آيتين متتاليتين تكمن في أمرٍ دقيقٍ للغاية أرجو أن أستطيع تقديمه للقارئ بالوضوح واليسر الكافيين.

إنّها تبدأ بفعلٍ مبنيٍّ للمجهول (بُعثِر، حُصِّل) وهو من الأفعال التي يركّز القرآن الكريم على استعمالها للاستغناء عن التصريح باسمه تعالى، فتكثر فيه مثل هذه الأفعال (يُؤذَن، يُدْخَل، يُؤتَى، يُنبَّأ، يُفْعَل، يُترَك، يُسقَون، لَيُنبَذَنّ، يُبَصَّرونهم، تُوعَدون، جُمِع، خُلِق، سُيِّرت، عُطِّلت، حُشِرت، طُمِسَت، فُرِجَت، نُسِفَت، كُوِّرت، سُعِّرت، أُزلِفت، أُقِّتت، أُجِّلت، مُدَّت، دُكَّت، مُلِئتْ، أُوحيَ، أُغرِقوا..)، فيبقى الفاعل مجهولاً باللفظ، معلوماً بالسياق.

ثمّ يأتي نائب الفاعل (وكلّ نائب فاعلٍ في الإعراب هو مفعولٌ به في المعنى، كما نعرف، أحلّه النحويّون محلّ الفاعل فسمّوه نائبه، لينسجم التركيب النحويّ مع قواعدهم)، فنجده في الآيتين شِبه مجهولٍ أيضاً (ما) وهي أداةٌ كثيراً ما نعْربها (نكرةً تامّةً بمعنى: شيءٍ) –وما أقرب معنى "النكرة" إلى معنى "المجهول"– وقد يعربونها (اسم موصولٍ) وهذا أيضاً لا يبتعد كثيراً عن النكرة، ولا سيّما في مثل هذا السياق، لأنّه هنا يعني (الشيء) على أيّة حال، وهو لفظٌ مبهم، رغم أنّ النحاة يصنّفون أسماء الموصول بين المعارف. وهكذا تستغني العبارة القرآنيّة، بهذه الأداة الرماديّة، عن المفعول الحقيقيّ، المجهول أيضاً باللفظ –كما عرفنا– والمعلوم بالسياق، وهو الموتى أو بقاياهم في العبارة الأولى، والأعمال أو النوايا في العبارة الثانية.

ثمّ يأتي القسم الأخير من السبيكة وهو شبه جملةٍ مؤلَّفٌ من حرف الجرّ (في) يليه شبه نكرةٍ، أو بتعبيرٍ آخر: شبه مجهولٍ، رغم أنّه معرَّفٌ بال التعريف (القبور، الصدور) ولكنّ هذا التعريف ليس تعريفاً حقيقيّاً، فقبورُ مَن هي؟ وصدورُ مَن؟ ولو قارنّاه، في هذا السياق، بجملتنا البشريّة التي يمكن أن توازي في معناها هذه السبيكة، لتبيّن لنا الفرق.

قد يكون علينا أن نقول هنا، ليتّضح المعنى، شيئاً من هذا القبيل: قبور العالمين، أو قبور الأرض، وكذلك: صدور البشر، أو صدور المبعوثين من الموت، أي ستكون جملتنا على نحوٍ ممّا يلي:

إذا بَعثر اللهُ العظامَ من قبور الأرض كلّها،

واستخرج النوايا من صدور البشر جميعاً،

فلا مجهول ولا نكرة ولا أشباههما في جملتنا البشريّة، لأنّ الجملة القرآنيّة تصدر عن الله تعالى نفسه، على حين تروي جملتُنا عن الله ما يفعله أو يحكم به على العباد، فكان لا بدّ أن نستغني عن صيغ المجهول والتنكير إذا أردنا لجملتنا أن تكون بشريّةً وأن تكون مفهومةً للسامعين.

٨- إنّ ربَّهم بهم يومَئذٍ لَخبير:

تظهر خصوصيّة هذه السبيكة القرآنيّة واضحةً لو حاولنا أن نتصوّر الجمل البشريّة البديلة التي يمكن أن تعبّر عن معناها، ولن تخرج هذه الجمل كثيراً عن شيءٍ من هذا القبيل:

إنّ ربّهم خبيرٌ بهم في ذلك اليوم

إنّ الله خبيرٌ ذلك اليومَ بهم

إنّ الله سيكون خبيراً بهم في ذلك اليوم

والله سيكون عالماً بحقيقتهم آنذاك

لاحظ الفرق بين ترتيب الكلمات وطبيعتها في الآية، وبين ترتيبها وطبيعتها في جملنا البشريّة، فلا مجال لتشبيه تعبيرنا البشريّ، في صياغته العاديّة الوضعيّة، بالتعبير القرآني في سبيكته الإلهيّة المتميّزة.

رابعاً: المواقع المنفتحة

١- والعاديات:

يَسهل أن نتبيّن الجانب الانفتاحيّ في هذا اللفظ القرآنيّ لو أبدلناه بلفظ (الخيل) أو (الإبل) أو (الفرسان)، وهي ممّا ورد في شروح المفسّرين للّفظ، فكلٌّ من هذه الألفاظ الثلاثة سيقتصر على معناه المحدّد "المنغلق" والمحصور بشيءٍ واحد، على حين ينفتح اللفظ القرآنيّ على هذه المعاني جميعاً لأنّ الخيول والجِمال، بمن عليها من الفرسان، كلّها تعدو، أي: تتباعد أرجلها بسرعة مشيها في الحرب، فلفظ (العاديات) يمكن أن يشملها جميعاً.

وللّفظ جانبٌ انفتاحيٌّ آخر. فقد اختلفوا حول الخيل أو الإبل المقصودة في الآية: هل كانت يوم معركة بدرٍ، أم هي التي تُقلّ الحجّاج من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنىً، أم كانت خيلاً لسَريَّةٍ بعث بها الرسول ﷺ للقتال، أم هي مطلق الخيول والجمال في مطلق هذه الأحوال؟ لقد وَجد كلٌّ من هذه التفسيرات من يذهب إليه ويؤيّده، فطبيعة اللفظ لا تغلق الباب أمام أيٍّ من هذه الوجوه.

٢- ضَبْحاً:

اختلاف الشرّاح على معنى هذا اللفظ ألقى بظلّه على معنى اللفظ السابق:

فذهب بعضهم إلى أنّ الضبح هو حمحمة الخيل،

وذهب بعضهم إلى أنّه صوتٌ يخرج من صدور الخيل ليس بصهيل،

وذهب آخرون إلى أنّه نَخير الخيل حين تُنحَر،

وقيل: بل إنّه تنفُّس الإبل أو تنفّس الخيول.

لكنّ ما يرجّح كفّة انفتاحيّةِ اللفظ هو الاختلاف على إعرابه. فذهب بعضهم إلى أنّه حال، وذهب آخرون إلى أنّه مصدرٌ في موضع الحال (والتقدير: ضابحاتٍ)، وذهبوا كذلك إلى إنّه مفعولٌ مطلق، أي إنّه مصدرٌ لفعلٍ محذوفٍ وجملة هذا الفعل المحذوف في موضع الحال، أي: والعادياتِ وهي تضبح ضبحاً.

٣- فالمُوْرِيات:

هذا من أكثر الألفاظ القرآنيّة غنىً وتلوّناً وقابليّةً للتأويل. فقد قيل عن الموريات:

إنّها الخيل حين تُوْري أو تقدح النارَ بحوافرها،

وقيل: بل الخيل حين تثير الغبار،

وقيل: هي الإبل تنسف بمَناسمها الحصى، أو ربّما يضرب الحصى بعضُه بعضاً فتخرج منه النار،

وقيل: إيراؤها: أن تُهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوّهم، وفي هذا استعارةٌ تصريحيّةٌ لتشبيهه الحرب بالنار المشتعلة،

وقيل: هم الرجال يمكرون في الحرب فيقدحون زناد أفكارهم، وفيه استعارةٌ أيضاً،

وقيل: هم المجاهدون حين يكثّرون نيرانهم في الحرب، ليُرهبوا أعداءهم،

وقيل: هي الألسُن، وفيه استعارة،

وقيل غير ذلك، حتّى قال الطبري: "ولم يضع الله دلالةً على أنّ المراد من ذلك بعضٌ دون بعض".

٤- قَدْحاً:

تستمدّ هذه الكلمة قوّتها الانفتاحيّة من المعاني الكثيرة السابقة التي اقترحوها للآية من خلال تعدّد معاني لفظ (الموريات)، فضلاً عن احتمالاتها الإعرابيّة المشابهة للّفظ (ضبحاً).

٥- فالمُغِيرات:

رغم أنّ المعنى الشائع للَفظ (الإغارة) هو الهجوم على الأعداء بغتةً، فإنّ المعنى الأصليّ له هو سرعة السير، ومن هنا اختلف المفسّرون حول المواقف التي تتحدّث عنها هذه الآيات. فقد تكون إغارةً على الأعداء في معركةٍ معيّنة، وقد تكون اندفاع الإبل في شعائر الحجّ، أو قد تكون اندفاعاً لمطلق الخيول أوالإبل.

٦- صُبحاً:

ذهب المفسّرون في (الصبح) هنا إلى أنّه الفجر، أو النهار مطلقاً، أو هو (العَلانيّة) فكأنّهم لعزّهم يُغِيرون نهاراً دون خوف انكشافهم، وتتسع معاني اللفظ لكلّ هذه المذاهب.

٧- فأَثَرْنَ (به):

يأتي الإشكال هنا، وكذلك الانفتاح، من إعادة الضمير (الهاء) على ما يُحتمل أن يعود إليه، واختلافهم حول هذا العائد، كما رأينا عند الحديث عن الصيغ والعلاقات اللغويّة. ويأتي كذلك من معنى حرف الجر (الباء) ومن مسألة تعليقه:

فقد يكون هذا الحرف لمجرّد التعدية؛ أي: أَثَرْنَ بالعَدْوِ نقعاً، إذا أعدنا (الهاء) على لفظ (العَدْو) المقدّر،

وقد يكون بمعنى (في) -وأكثر ما يتعدّى بالباء يمكن أن يتعدّى بفي- فيكون في هذه الحال للظرفيّة الزمانيّة، أي بمعنى ظرف الزمان، إذا كان التقدير: أثرن في وقت الصبح نقعاً،

أو يكون للظرفيّة المكانيّة، إذا كان التقدير: أثرن في ذلك المكان نقعاً،

وقد يكون للحاليّة، إذا كان التقدير: أَثَرن كائنةً فيه -أي والخيل موجودةٌ فيه- نقعاً،

وقد يكون زائداً، إذا كان التقدير: فأثَرنه نقعاً، فيعود الضمير (الهاء) في هذه الحال على (النقع) نفسه، ويكون (نقعاً) تمييزاً أو حالاً من الضمير.

٨- فأثَرْنَ به نَقْعاً:

لنا أن نتصوّر الآن المعاني العديدة المقترحة لهذه الآية بعد أن عرفنا ملابسات ألفاظها وجزئيّاتها، المعنويّة والإعرابيّة، ولا سيّما إذا عرفنا كذلك أنّهم اقترحوا للّفظ (نقع) أكثر من معنىً واحد، مثل: غبار الحرب، والغبار مطلقاً، والصوت الشديد، والموقع ما بين المزدلِفة إلى مِنىً، وشقّ الجيوب.

٩- جَمْعاً:

تعدّدت تفسيرات هذا اللفظ أيضاً:

فقيل: إنّه يدلّ على المكان الذي هو بهذا الاسم، وهو مزدلِفة، وقد سُمّي كذلك لاجتماع الناس به في وقتٍ واحد،

وقيل: بل هو جموع المقاتلين في الحرب؛ أي توسّطت الخيولُ المعركةَ برُكبانها، وقيل: هو على هذا مفعولٌ به للفعل (وسَطَ)،

وقيل أيضاً: إنّه حالٌ من فاعل هذا الفعل، أي توسّطت الخيولُ أو الإبلُ الناسَ أو المكانَ مجتمعةً.

وهكذا يَغنَى اللفظ بتعدّد هذه الوجوه المعنويّة والإعرابيّة.

١٠- فوَسَطْنَ (به):

ينطبق على شبه الجملة (به) في هذا الموقع الانفتاحيّ كلّ ما سبق أن ذكرناه عن رديفه السابق في (فأثَرْنَ به).

١١- فوسَطْنَ به جَمْعاً:

وينطبق على هذا التعبير أيضاً ما ذكرناه عن مُوازيه في الآية السابقة ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾.

١٢- (وإنّه) على ذلك لَشهيد:

الضمير في (إنّه) يحتمل أكثر من جسرٍ بينه وبين الكلمات من حوله.

فهناك جسرٌ يربطه باللفظ (ربِّه) في الآية السابقة، فيكون المعنى بذلك: أنّ ربّ الإنسان شهيدٌ على كُنوده وجحوده لخالقه،

ولكنّ هناك جسراً آخر يربطه بلفظ (الإنسان) فيكون المعنى أنّ الإنسان، بلسان حاله، هو الذي يشهد على نفسه بنكرانه لنعم الله عليه في أقواله وتصرّفاته، وهو ما توضّحه الآية ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة:١٤].

١٣- الخير:

تأتي القيمة الانفتاحيّة لهذا اللفظ من جانبين:

أ- عموميّته التي أكسبتْه إيّاها جِدّةُ استعماله، كما سبق أن رأينا في حديثنا عن الألفاظ والمصطلحات، فهو يعني كلَّ ما يحبّ الإنسان أن يمتلكه، إنّه المال والخيل والدنيا بشكلٍ عامّ.

ب- المفارقة المُلفتة بين اللفظ ومعناه، فهو من الألفاظ الإيجابيّة في اللغة، ومن يمكن أن يعترض على أيّ معنىً معروفٍ من معاني (الخير)؟ ولكنّه هنا، ورغم اقترانه بلفظ (حبّ) -وهو لفظٌ إيجابيٌّ أيضاً- حمل معنىً غير إيجابيّ، فهو معنىً مرتبطٌ بالبطر وفساد النفس والنكران.

١٤- حُصّل ما في الصدور:

من الواضح أنّ المفردات الثلاث التي يقوم عليها هذا التعبير، كما أسلفنا في حديثنا عن السبائك، تعميميّةٌ غائمة، فالفعل (حُصّل) مبنيٌّ على (مجهول) والأداة (ما) تكتسب عموميّتها من تنكيرها، لو أعربناها نكرةً تامّةً بمعنى (شيء)، فإن أعربناها اسم موصولٍ، وهو معرفة، فإنّها لا تفيدنا هنا بأكثر ممّا تفيده (ما) النكرة التامّة، وذلك أنّها وُصلت بما هو غائمٌ وتعميميٌّ أيضاً (مَا فِي ٱلصُّدُورِ)، فالذي في الصدور يمكن أن يدلّ على أشياء كثيرةٍ، منها النيّات، على اختلاف طبيعة تلك النيّات، وكذلك الأعمال، على اختلاف طبيعتها وأنواعها أيضاً. ثمّ إنّ الفعل (حُصِّل) نفسه قد يعني الحصول، وقد يعني الكشفَ والتبيين، وقد يعني التمييز بين ما في الصدور من خيرٍ أو شرّ.

١٥- إنّ ربَّ(هُم) بـ(هِم):

إنّ إعادة الضمير إلى غير مذكورٍ هي من أظهر الوسائل التي يتوسّل بها القرآن الكريم لإضفاء الصيغة الانفتاحيّة على لغته. فضمير جماعة الغائبين (هم) تكرّر مرّتين في الآية رغم أنّه لا يعود على جمعٍ ظاهرٍ لنا في السورة. نعم إنّ لفظ (الإنسان) فيها سيساعدنا على تقدير هذا الجمع المحذوف، ولكن حتّى إن لم يظهر هذا اللفظ في السورة فإنّ السياق يوحي بأنّ الضمير (هم) إنّما يشير إلى هؤلاء الذين يُبعثون ويُبعثَرون من القبور، أو البشر الذين سيحاسبون في ذلك اليوم ويُحصّل ما في صدورهم من أعمالٍ اقترفوها أو نيّاتٍ صدرت أعمالهم عنها.

١٦- إنّ ربَّهم بهم يومَئذٍ لَخبير:

إنّ حذف الرابط اللغويّ الذي يربط هذه الجملة بما قبلها تركها عائمةً غير محدّدة الانتماء نحويّاً، ومن ثمّ معنويّاً.

فقد تكون جملةً استئنافيّةً انقطع الكلام قبلها، ثم استُؤنف من جديدٍ ليؤكّد

تعالى بها أنّ علمه بما في صدورهم قد سبق، في الواقع، انبعاثَهم والكشفَ عمّا في صدورهم من سرائر وأعمال. وقد تكون جملةً مكمِّلةً لما سبق من كلام، كما رأينا، وكأنّه تعالى يسألهم: ألا يعلمون أنّ ربّهم سيكون خبيراً بهم وبأعمالهم في ذلك اليوم، فهي في موقع المفعول، أو ربّما في موقع المفعولين، للفعل الذي سبق قبل آيتين (يعلم).

خامساً: جوامع الكَلِم

١- إنّ الإنسانَ لِربِّه لَكَنود:

يمكن إطلاق هذه العبارة القرآنيّة للتعليق على من بَطِر معيشته ولم يُحسن تقدير نعمة الله عليه، وكذلك على من ينكر الجميل ولا يبادل الإحسان بالإحسان.

٢- وإنّه على ذلك لَشهيد:

ويمكن إطلاق هذه العبارة على من ينطق لسانُ حاله عن نفسه من غير أن يدلي بأيّ حديث، أو على من نتوسّم فيه الشهادة على أمرٍ يهمّنا.

٣- وإنّه لِحُبّ الخيرِ لَشديد:

عبارةٌ يمكن أن تقال لمن عُرف بالجشع والطمع والسعي لنيل الدنيا من غير تذكّر الآخرة.

٤- وحُصِّل ما في الصدور:

هناك أكثر من حالة يمكن أن تصفها هذه العبارة: كأنْ نقولها لمن افتُضح أمره فجأةً، أو لمن انتهى لتوّه من امتحاناته، أو لمن تكشّفت نواياه نحونا، أو لمن انتزعنا منه اعترافاته.

٥- إنّ ربَّهم بهم يومَئذٍ لَخبير:

وهي عبارةٌ أخرى يمكن أن تُطلَق في أكثر من موقف: فلنا أن نقولها لمن نشكّ في أنّه ينطق بالحقيقة، أو نطلقها على من مات من غير أن نستطيع الحكم له أو عليه، فنترك أمره لله.

obeikan.com